الأهرام

المصدر : الجمهوريـــــه

التاريخ : ١٥ يونية ٢٠٠٠

بقلم : محمد ابو الحديد

بشار الأسد.. هل هو حالة خاصة؟!

أصبح بشار الأسد، مرشحا لرئاسة الجمهورية فى سوريا، خلفا لوالده الرئيس الراحل حافظ الأسد.

وقبل دفن جثمان الأسد، كانت الاجراءات المبدئية اللازمة للانتقال السلمى السريع للسلطة قد اتخذت.

أزال مجلس الشعب السورى العقبة الدستورية الوحيدة أمام ترشيح بشار للرئاسة، وهى السن، ووافق على تعديل هذا النص فى الدستور، ليجعل سن المرشح ٣٤ سنة.

واصدر عبدالحليم خدام، بوصفه رئيس الجمهورية المؤقت، أو القائم بأعمال رئيس الجمهورية قرارا بترقية «العقيد» بشار الأسد إلى رتبة الفريق، وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة.

وأثار هذا كلاما كثيرا فى العالم العربى.. بل وبين بعض السوريين أنفسهم.

قال البعض، ان ترشيح بشار لخلافة والده، يعود بنا إلى ثقافة القبيلة، ويسقط أى فوارق بين النظام الجمهورى، حيث المفترض أن تتساوى الفرص أمام كل أفراد الشعب.. وبين النظام الملكى الذى يحصر تداول السلطة، فى أفراد العائلة المالكة بالوراثة.. فيصبح هناك ملوك إلى الأبد.. ورعايا إلى الأبد.

وتخوف الكثيرون، من أن يصبح ماحدث فى سوريا، مثالا ونموذجا قابلا للانتقال، بالعدوى، إلى دول عربية أخرى، وهذا - فى رأيهم - يلغى سنوات طويلة من النضال العربى من أجل الديمقراطية، وارساء مبدأ المساواة بين جميع المواطنين فى الحقوق والواجبات.. والفرص ايضا.

وقد يكون لهذا الرأى وجاهته.. كما قد تكون تخوفات الكثيرين مشروعة.. فهذا حقهم.. وتلك هى الديمقراطية.. ولكن..

إن الذى يعرف سوريا معرفة دقيقة، يدرك تماما، انه لم يكن هناك مفر من تحقيق هذا الانتقال السلمى السريع للسلطة، ولو بصورة مؤقتة، أو كمرحلة انتقالية، لأن البديل لذلك هو.. الطوفان.

فسوريا، تقع فى محيط اقليمى من العواصف. وشعبها «مسيّس»، وتتعدد فيها التيارات والاتجاهات السياسية والحزبية بصورة تاريخية.

ويكفى أن نتذكر، أنه قبل أن يتولى الأسد الرئاسة منذ نحو ثلاثين عاما، كانت سوريا مشهورة بالانقلابات المتكررة.. لايكاد يستقر فيها نظام، حتى انتشرت فى الخمسينيات والستينيات نكتة تقول: ان أى مواطن يستيقظ أولا، يستطيع أن يصبح رئيسا للجمهورية.

فلم يكن الأمر فى ذلك الوقت يستلزم أكثر من دبابتين، احداهما تتوجه إلى قصر الرئاسة لاعتقال الرئيس، والأخرى لمبنى الاذاعة، لاعلان اسقاط النظام، وقيام نظام جديد.

وكان عدم استقرار سوريا، ينعكس سلبا على محيطها الاقليمى كله.

وقد نجح حافظ الأسد فى أن يضع نهاية لهذه الظاهرة المقلقة، وأن يجد صيغة سياسية للحكم، فى صورة جبهة تمثل كل القوى الفاعلة، وأن يقود سوريا من خلالها، بقبضة قوية ما يقرب من ثلاثين سنة.. من عام ١٩٧٠ حتى مطلع هذا الأسبوع.

لكن.. من يدرى ماذا تحت السطح من تيارات.. وما الذى كان يمكن أن يحدث حين تختفى هذه القبضة القوية، وتواجه البلاد فراغا فى السلطة، ولو لمدة ٢٤ ساعة.

ولقد قلت ان سوريا تقع فى محيط اقليمى من العواصف. وهذا صحيح.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لقد مات حافظ الأسد.. ووضع سوريا الاقليمى كالآتى:

● جزء عزيز من أرضها - هو هضبة الجولان - يقع تحت الاحتلال الاسرائيلى من ١٩٦٧.. لم تنجح فى استرداده حربا فى أكتوبر ١٩٧٣.. ولم تقبل - سلما - التنازل عن شبر منه خلال المفاوضات.

● جزء ليس صغيرا من قواتها المسلحة - ٣٠ ألف جندى - يرابط خارج حدودها فى دولة عربية مجاورة هى لبنان.

● دول جوار لاترتبطها بها علاقات مستقرة بصورة كاملة أو مطمئنة. هناك مشاكل تاريخية مع تركيا، وان تم الاتفاق على وقف تداعياتها بعد وساطة مصرية.. وعلاقات غير ودية مع العراق، رغم ان الحزب القائد فى البلدين واحد وهو حزب البعث.. حزب صدام حسين، كما هو حزب الأسد.. كما ان العلاقات مع الأردن تعرضت لاهتزازات فى الماضى، ولم تستقر إلا من خلال «دبلوماسية الجنازات»، حين فاجأ الرئيس حافظ الأسد الجميع، بمشاركته فى جنازة الملك حسين، ودعمه لنجله الملك الجديد عبدالله.

● اتهامات أمريكية لسوريا بانتهاكات لحقوق الانسان، وبدعم الارهاب الدولى. وهى اتهامات تتراجع حين تكون العلاقات ودية.. وتلوح واشنطن بها حين تريد الضغط على سوريا أو ابتزازها.. لمصلحة أمريكية.. أو لمصلحة إسرائيلية.

فى محيط كهذا، يصبح ترك أى فراغ فى السلطة، مغامرة كبيرة وغير محسوبة قد يضيع فيها الوطن أو يتعرض فيها لخطر كبير.

سوريا - إذن - حالة داخلية واقليمية خاصة.. لايجوز عليها القياس، كما لايجوز اعتبار ماجرى فيها قاعدة قابلة للانتقال بالعدوى.. أو واجبة التطبيق بالتقليد.

ومع ذلك، سوف أتطوع بطرح سؤال افتراضى: ماذا لو لم تكن حالة خاصة؟!

ان معيار الحكم هنا هو دستور أى دولة.. وطبيعة المجتمع والديمقراطية فيها.

وبصفة عامة، فان خلافة الأبناء للآباء فى الحكم ليست بدعة.. حتى فى أعرق الديمقراطيات فى العالم.. وفى النظم الجمهورية.

لدينا مثال تاريخى من أعرق ديمقراطيات العالم الثالث وهى الهند، حين أعد زعيمها نهرو ابنته أنديرا.. واستطاعت بالفعل، ومن خلال انتخابات حرة، أن تتولى منصب رئيس الوزراء.. وهو المنصب الذى كان يشغله أبوها.

ولدينا مثال حاضر الآن، ومن أكبر ديمقراطيات العالم الأول - امريكا.. فأحد الفارسين الرئيسيين فى سباق انتخابات الرئاسة الأمريكية التى تجرى فى نوفمبر القادم، هو جورج بوش، ابن الرئيس الأمريكى السابق بوش.

القضية - إذن - واردة.. والحكم فيها للدستور، وللشعب.. ولمدى صلاحية المرشح، للقيادة، ومهامها.. وكلها عناصر لاتقبل التعميم، وإنما ترتبط بظروف كل دولة أو حالة على حدة.

وواضح أن الرئيس حافظ الأسد قد أعد ابنه بشار جيدا لهذه المهمة.. وكان قد أعد من قبله أخاه الأكبر باسل.. إلا أن الموت اختطفه قبل أبيه.

فقد ضم حافظ الأسد «بشار» إلى قيادة الحزب.. كما أدخله الجيش.. وبذلك ضمن له توافق أكبر مؤسستين حاكمتين فى المجتمع.

وبشار شاب، يحمل بالتأكيد فكر العصر.. وينضم لقافلة الحكام الشبان الجدد فى الأردن وقطر والبحرين والمغرب.

ثم إن الذين عارضوا ترشيح بشار للرئاسة علنا حتى الآن، أحدهما رئيس انقلابى سابق لسوريا هو أمين الحافظ، وسبق تجربته.. والآخر هو رفعت الأسد، شقيق الرئيس الراحل.. وهو ينطلق من مشروعية الوراثة أو الخلافة ولكن بشرط أن يكون هو الخليفة!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية